تغزل النساء في الغلمان والعبيد في العصر العباسي بين اللهو والتمرد

إعداد

أ.م.د/ يوسف عباس علي حسين

أستاذ الأدب العربي القديم المساعد

كلية الألسن – جامعة الأقصر

يعد الغزل من أكثر الموضوعات الإنسانية لصوقًا بالنفس ، وأقربها إلى وجدان الناس، حيث استشرى غرض الغزل في العصر العباسي نتيجة الانفتاح على الأمم الأخرى ، مما سمح بتبادل الثقافات ، وظهر هذا واضحاً من خلال عالمي الشعر والنثر وغيرهما من الفنون الأخرى ، وفي ظل هذا التطور الهائل كان للمرأة دور فاعل في الحياة الثقافية ، مما جعل موضوع الدراسة يتناول: " تغزل النساء في الغلمان والعبيد في العصر العباسي بين اللهو والتمرد ، وذلك لكشف النقاب عن مقدرات المرأة العباسية الشاعرة سواء كانت سليلة بيت ملك أم من الجواري في ممارسة حقها في الحياة الأدبية آنذاك .

الكلمات المفتاحية : تغزل -اللهو – التمرد –النساء

Spinning is one of the most intimate human subjects, and the closest to people’s conscience, as the purpose of spinning became widespread in the Abbasid era as a result of openness to other nations.

which allowed for the exchange of cultures, and this appeared clearly through the worlds of poetry, prose, and other arts, and in light of this tremendous development. Women had an active role in cultural life, which made the subject of the study address: “Women flirted with servants and slaves in the Abbasid era between amusement and rebellion. in order to unveil the capabilities of the Abbasid woman poet, whether she was a descendant of a king’s house or a female slave, in exercising her right to literary life at that time.”
key words : Flirting - amusement - rebellion – women.

مقدمة:

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ، حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد بن عبد الله ، المبعوث بلسان عربي مبين ...أما بعد :

فيعد الغزل أنشودة القلب، ومن أكثر الموضوعات الإنسانية لصوقاً بالنفس وأقربها إلى وجدان الناس ، لذا نرى القلب يروع إليه كلَّما أصاب نصيبًا من الدعة والرخاء ، وقد استشرى في العصر العباسي نتيجة الانفتاح على الأمم الأخرى ، مما سمح بتبادل الثقافات ، وظهر واضحاً من خلال عالمي الشعر والنثر وغيرهما من الفنون الأخرى ، وفي ظل هذا التطور الهائل كان للمرأة دور كبير وفاعل في الحياة الثقافية .

ومن هنا تناولت الدراسة موضوع : " تغزُّل النساء في الغلمان والعبيد في العصر العباسي بين اللهو والتمرد " . ومن خلاله ، يمكن كشف النقاب عن الدور الفاعل للمرأة العباسية الشاعرة سواء كانت سليلة بيت مُلك أم كانت من الجواري ، في المبادرة بممارسة حقها في الحياة الأدبية آنذاك ، وإبراز قدرتها على التعبير عما يجيش في داخلها من مشاعر فياضة وأحاسيس صادقة .

وتكمن مشكلة الدراسة في : استشعار المؤلف – قدر علمه وبحثه– بقلة الشعر الذي وصل إلينا من شعر النساء في العصر العباسي ، ما عدا ديوان الشاعرة " عُلية بنت المهدي " لسعدي ضناوي ، وبقية الأشعار متناثرة ، هنا وهناك في بطون الكتب القديمة.

وتحاول هذه الدراسة إلقاء الضوء على شعر النساء ، وتغزلهن في الغلمان والعبيد ، بغية إماطة اللثام عن مكنونات نفوسهن ، والكشف عن الدواعى والأسباب التى دفعت بهن إلى أن يقمن ببث ذواتهن في أشعارهن المتغزلة في الغلمان والعبيد تارة من قبل اللهو وتارات من قبل التمرد.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة الحالية أن تأتي في : مقدمة ، وثلاثة محاور ؛ تعقبهم خاتمة ،وقائمة بالمصادر والمراجع ، وتشمل المقدمة التعريف بموضوع البحث ومشكلة الدراسة وأسباب اختيارها والمنهج المتبع في الدراسة ، أما المحور الأول : فقد تناول تغزل النساء في الغلمان في العصر العباسي(الأسباب والدوافع)، وكان من الأسباب والدوافع التالي :

- طبيعة البيئة العباسية .
- أبعاد الحياة اللاهية التي عرفتها الطبقة الخاصة .
- كثرة انتشار النخاسة
- اعتبار الغلمان أحد الركائز الطقسية
- البحث عن وسائل جديدة للمتعة .

أما المحور الثاني فقد تناول : مقاصد الغزل النسوي في العصر العباسي.

وجاء المحور الثالث بعنوان : التمرد النسوي في الشعر العباسي .وخُتمت الدِّارسة بخاتمة تلخِّص أهم النتائج التي وصلت إليها الدِّارسة، ثمَّ تلاها : قائمة بأهم المصادر والمراجع التي استقت منها الدراسة .

المحور الأول- تغزل النساء في الغلمان والعبيد في العصر العباسي (الأسباب والدوافع):

١- البيئة العباسية :

إن البيئة العباسية قد ساعدت على ازدهار تيار الغزل ، وكذلك امتزاج العرب بالعناصر الأعجمية ، وأصبحت حياتهم حياة ناعمة مترفة ؛ هيأت لهم سبل اللهو والمجون ، وحررتهم من الكثير من العادات والتقاليد الموروثة ، كما كان للغلمان حظ كبير من الجمال البشري ، مما جعل ألسنة الشعراء تلهج بهم في وصف هذا الجمال ، فنشأ الغزل بالمذكر والغزل بالمؤنث

وعرف الشعر ما يسمى التغزل بالمذكر ، وهو : وصف الغلمان والسقاة والندماء الذين تكونت منهم طبقة جديدة في المجتمع ، تجمع بين صفات النساء والرجال ، وتعنى بالزينة وتتخنث تخنث النساء ، ويعبث بها المجان والعابثون عبثهم بالجواري والقيان ، ونشأ في المجتمع العباسي ما يغلب على الظن أنه ضرب من الانحراف الجنسي في علم النفس بحب الجنس [١].

وأدى الانفتاح داخل البلاط العباسي إلى اختلاط الجواري والإماء والغلمان فى مجالس الخلفاء ، وأخذ الشعراء يصفون المحاسن عند الغلمان ، حتى أصبحت الإماء والجواري يلبسن ثياباً تحاكي ثياب الغلمان ، بل هي نفسها ، وأخذن يقصصن شعورهن على طريقة الغلمان ، و" استمر التغزل خلال تلك الحقبة يسري المسارين اللذين اندفع بهما ، بوصف ذلك امتدادًا لعصر الدولة الأموية ، ونعني بمسارىْ الغزل ، ما أُصطلح على تسميته : الغزل الصريح الماجن والغزل العفيف ، ويقف وراء غلبة الاتجاه الماجن تلك الزيادة والانتشار للإماء ودور النخاسين التي كانت تمتلئ بالجواري من كل جنس ، واللائى كن يتسببن في إشاعة الإباحية والتحلل الخلقي في بغداد آنذاك ".[٢]

---

[١]- ينظر : الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري – أحمد عبد الستار –المؤسسة العربية للدراسات والنشر –لبنان – بيروت –(د.ت)/ص١٤٩.

[٢]- تاريخ العصر العباسي –العصر العباسي الأول –شوقي ضيف –دار المعارف –القاهرة – ط (٨)–سنة ١٩٦٦/ص٣٧٠-٣٧١.

فقد كثرت تجارة الجواري ، فكان الناس يتهادون بهن ، وقد انتشر هذا الأمر في كل مكان ، فـــــــــــــ" لم ينحصر في قصور الملوك والأمراء ، بل تعداها إلى منازل الخاصة وأرباب اليسار ، من تجار وعلماء ومن يليهم من طبقات الشعوب ".[١]

وقد كان تأثير الجواري واضحاً ، حيث " برز فيما كان من هؤلاء من إنتاج شعرى ، ما كان ليصدر عنهم لولا ما أثرته فيهم من كوامن العاطفة ومشاعر العشق وما كان منهن من جميل القول وطريف التصرفات ...فكان من هؤلاء ما صدر عنهن من أشعار لطيفة وتغن عذب"[٢]

وكانت دور القيان المغنيات الراقصات مليئة باللهو والمطربين ، وقد كان " الشعراء يختلفون إلى هذه الدور لسماع الغناء في أشعارهم ولمغازلة الجواري والإماء ، وكان منهن من يتقن نظم الشعر وكان منهن من يطارح الشعراء أغاني الحب وأناشيده ".[٣]

ورُصدت أمثلة كثيرة لقيان تغنين بأشعار المشاهير ، رغبة فى استقطاب أصحاب السلطة ، حيث كانت عنان الناطفية تجلس مع الشعراء ، الذين كانوا يجتمعون إليها ، فليقي كل رجل منهم عليها الأبيات ، فتنشده ، وهو ما يزال يبكي ، حتى تسمعته يتنفس من أحشائه ".[٤]

---

[١]- أمراء الشعر العربي – أنيس المقدسي- دار العلم للملايين –بيروت ط (١)- سنة ١٩٧٧ /ص٥٥

[٢]- الأندية الأدبية في العصر العباسي في العراق حتى نهاية القرن الثالث الهجري –علي محمد هاشم –منشورات دار الآفاق الجديدة –بيروت –سنة ١٩٧٨م / ص٢٦١

[٣]- العصر العباسي الثاني – شوقي ضيف /ص٢٢٢.

[٤]- الورقة –ابن الجراح –ت / عبد الوهاب عزام و عبد الستار أحمد –دار المعارف – مصر – سنة ١٩٨٦م /ص٢١-٢٢.

٢- الحياة اللاهية للطبقة الخاصة:

تمتع الخلفاء وحاشيتهم – من البيت العباسي- بالبذخ ، والترف ، والنعيم ، فقد" فرضت الطبيعة الجديدة للحياة العباسية نفسها على الأدباء – الذين كانوا بلابل القصور وندماء الملوك ولسان الحياة في شتى مظاهرها – فرضاً ، سواء الحياة السياسية ، وما كان يجري فيها من نظم وظروف وأحداث مختلفة، أو الحياة الاجتماعية ، وما كان يشيع فيها من تحضر وترف وشغف بالغناء وإغراق في المجون، أو الحياة العقلية ، وما اتَّصل بها من ترجمة الثقافات".[١]

وقد أحاط الخلفاء والوزراء أنفسهم بالشعراء ، وخُصصت مكافآت؛ نتيجة شغف الخلفاء بالأدب " فقد عُنى المهدي بالعلم والعلماء ، بيد أن اهتمامه بالشعر والشعراء كان أكثر وضوحاً ، إذ كان يتمتع بموهبة تذوق الشعر وتمييز الجيد ومعرفة الردئ ، كما أنه كان عالماً بأيام العرب ، بالإضافة إلى أنه كان مطلعاً على أشعار القدماء والمعاصرين .

ولشدة اهتمامه بالشعر نراه يجمع – في مجلسه- علماء الشعر ونقاده ورواته ، ويدخل معهم في مناظرات أدبية مفيدة ، يستنشد الشعراء شيئاً من أشعارهم أو أشعار غيرهم ، أو يطلب منهم أن يجيزوا بيتاً من النقاد عمن يرونه أشعر الشعراء ، سواء من معاصريهم أم من الأقدمين ، ولا يكتفي بسماع آرائهم ، وإنما يناقشها ، ويفندها ؛ ثم يُقرها أو ينفيها ".[٢]

وقد جسَّد طبيعة الحياة الاجتماعية فى الدولة العباسية تحقق ذلك التفاوت بين الطبقة الخاصة والعامة في النفوذ والثروة ، فكان الخلفاء وأهل الطبقة العليا يملكون القصور والجواري ، فالخليفة المأمون ترك – حين تُوفى – أربعة عشر مليوناً من

---

[١]- شعر الغزل في العصر العباسي – حنان أحمد النجار –اتحاد الكتاب العرب – (د.ت)/ص٢٩

[٢]- حركة الشعر والنقد في بلاط الخليفة المهدي – إيمان بنت حامد بنت معيض –رسالة ماجستير – كلية اللغة العربية –وآدابها –جامعة أم القرى –سن ١٤٣١/ص١٦

الدنانير وستمائة مليون من الدراهم، وترك الرشيد تسعمائة مليون درهم، وقد خلَّف المكتفي مائة مليون دينار، كما منح خالد البرمكي بشاراً ألف درهم ؛ لكل بيت من قصيدته التي مدحه فيها ، وأعطى إبراهيم الموصلي يوماً ستمائة ألف درهم ، وضيعة بمائة وستين ألفًا ، واشتهر آل الفرات بالسخاء والكرم بعد البرامكة ، فكانوا يقرضون الرواتب للعلماء والأدباء والفقهاء ...". [١]

وقد كثر الرقيق في العصر العباسي بسبب ما كان يأسرون في الحروب ، أو بسبب انتشار تجارته ، وكان الرقيق من أجناس شتى ؛ يحمل كل منهم ثقافات مختلفة ، و أدت كثرة الرقيق – في القصور– إلى كثرة نسل الجواري ، واختلاط الدماء ، وأشاع هؤلاء الجواري فن الغناء ، كما نشرن اللهو والمجون بين شتى الطبقات ".[٢]

٣-كثرة انتشار النخاسة :

انتشرت أسواق النخاسة التى كانت تعقد لبيع العبيد من مختلف الدول في العصر العباسي، وذلك بعد أسرهم في الحروب ، وسرعان ما يأتي الخلفاء والأمراء لشرائهم ، فأصبحت تجارة الرقيق من أشهر أنواع التجارة ، و تعددت أصناف هذا الرقيق أنواع مختلفة ، حسب مصدره وعنصره ، وثقافته ، وعرقه ، و" قد ارتبط عمل الرقيق بالظروف الاجتماعية والاقتصادية ، فالجماعات القبلية – التي تعيش حياة الرعي أو تلك التي أخذت تستقر في الأرض ، وكانت حديثة العهد بحياة الزراعة ...أو الجماعات المدنية – زادت حاجتها إلى الرقيق ، ولم تعد تكتفي بأسرى الحروب ، بل أخذت تشتري الرقيق ، تختاره ، وتستضيفه ، وكان عاملاً من عوامل الرفاهية عند الطبقات المترفة ".[٣]

---

[١]– أدب الزهد في العصر العباسي نشأته وأشهر رجاله – عبد الستار السيد متولي – الهيئة العامة للكتاب – سنة ١٩٨٤م / ص٢١-٢٣.

[٢]–ينظر : الآداب العربية في العصر العباسي الأول – محمد عبد المنعم الخفاجي – دار الجيل – بيروت – ط(١)– سنة ١٩٩٢م /ص ص٣٠

[٣]– الرق ماضيه وحاضره – عبد السلام الترمانيتي –عالم المعرفة – سنة ١٩٧٩م / ص٤٩.

وكانت أسواق النخاسة منتشرة في العصر العباسي ، إذ يباع فيها العبيد أو الرقيق، وكان التعامل فيها يُنجز بواسطة السماسرة والنخاسين ، الذين يجلبون الرقيق، فكانت تدر على أصحابها أموالاً طائلة في عصر الخلافة العباسية ، وتعود أهمية النخاسة إلى أنها أسهمت في تزويد المجتمع بما يحتاجه من طاقة محركة في جميع النشاطات، من العمل في المنازل إلى العمل في مختلف دواليب السلطة من إدارة أو جيش ...إلخ ".[١]

وأتاحت هذه المهنة للنخاسين الولوج إلى بلاط الأمراء والخلفاء ، والتعامل معهم وتزويدهم بنفيس ما يصلون إليه من جوارٍ وغلمان ، يستنجدون بها أو بهم لقضاء حوائجهم ، وغالباً ما كانوا يجدون منهم العون المطلوب ، وقد أدى ثراؤهم وترددهم على أولى الرأي إلى تزلف العامة لهم ".[٢]

وورث المجتمع العباسي أساليب اللهو والمجون التي كانت منتشرة ، مثل إباحة الخمور والغناء والزندقة من الثقافات الوافدة ، التى أدت إلى تغير النسيج المجتمعى فى المجتمع العربى ، " فالتحول الاجتماعي – الذي شهده ذلك العصر بعد امتزاج العرب بالأمم الأخرى – كان له أثره في الشعر العباسي ، فظهرت فيه فنون تشجع مطالب الحياة ، وتلقت أذواق الناس أصنافاً جديدة من الشعر ، نحو : شعر اللهو ، والمجون ، وشعر الخمريات ، الذي يروق لطبقة المترفين العابثين ...".[٣]

كل هذا أدى إلى أن يُدقق تجار الجواري (النخاسين) في اختيار الجواري ؛ من أجل جذب انتباه الخلفاء والأمراء ، فكان يُدرَّبون على المنادمة ورواية الشعر والغناء.

---

[١]– جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوي المعيار المعرب – مركز الإسكندرية للكتاب –سنة ١٩٩٦/ص٣٦.

[٢]– الرق من الفتح الإسلامي إلى نهاية رحيل الفاطميين – بشاري لطيفة بن عميرة – رسالة دكتوراه – جامعة الجزائر – سنة ٢٠٠٨م /ص٢٦٦

[٣]– الاتجاه التجديدي وأثره في نهضة الشعر في العصر العباسي الأول – دراسة نقدية تحليلية = أحمد طيب عباس – رسالة دكتوراه – جامعة أم درمان الإسلامية – السودان – سنة ٢٠٠٧/ص٣٠.

٤-اعتبار الغلمان أحد الركائز الطقسية :

كان للدولة العباسية مجالسٌ للهو والطرب ، وانتشر فى مجالس اللهو والطرب غلمان ، كانوا يُختارون للعمل في الملاهي أو مجلس الخلفاء داخل القصور ، فكان " للندماء صفات وسمات شجعت الملوك والخلفاء والأمراء على تقريبهم ومجالستهم ومنادمتهم ، ومؤاكلتهم وملاعبتهم ومعاقرة الشراب معهم ، فدفعت تلك الخصائص بهم للميل نحوهم لمؤانستهم ومفاكهتهم ، وقضاء معظم الأوقات معهم ، ومن هذه الصفات أن يكون جميل المُحيا ، حسن المعشر ، حلو الكلام ، أديباً نظيفاً ، كتوماً حفيظاً ".[١]

ولم يكن وجود الندماء في القصور، ومنازل الأمراء والقادة فحسب ، بل وجد عند الطبقات العليا في داخل المجتمع العباسي نتيجة حياة البذخ والترف ، " وقد تحولت المنادمات والمجالسات إلى جزء من الحياة اليومية عند بعض أصحاب السلطان وخصوصاً في الدولة العباسية ، إذ أسهم التقدم الحضاري – الذي شهدته – في انتشار حياة البذخ والترف في القصور ، ولكن آثار المنادمات لم تقتصر على البلاط، بل تعدته إلى الناس ، فسيطرت على سلوكياتهم ، بالمعنى المتَّسع لصنوف السلوك...". [٢]

وكان الخلفاء يجالسون الندماء ، ويسمعون لغنائهم ،" وشهد عهد الندماء بحضرة بني العباس تطوراً ملحوظاً ، من حيث الغناء ، حيث بات الخليفة لا يتحرج من الجلوس مع الندماء والمغنين ، يحدثهم ويحادثونه يضحك معهم ، ويضاحكونه ، فهم مستودع سره وسبب سعادته وأقرب الناس إليه .

غير أنه لمن المستغرب له فى هذا العصر ، أن الخلفاء العباسيين قد بالغوا بحبهم للندماء وقربوهم ، وفوضوا إليهم الكثير من الأمور ، فالخليفة المهدي قد وضع مقدرات الخلافة كلها في أيدى نديمته الحسناء جوهر تأمر ، فتطاع ". [٣]

---

[١]- نوادر الندماء وطرائف الخلفاء – جاسم يسين الدرويش –عادل إسماعيل خليل – طباعة تموز للنشر والتوزيع – دمشق – ط(١)- سنة ٢٠١٦م /ص١٣

[٢]- السابق /ص ٨٣-٨٣.

[٣]- السابق /ص ٩٤.

وكان من مظاهر العصرية والحداثة الاجتماعية – في تلك الحقبة – ما امتاز به المجتمع في العصر العباسي بانتشار ظاهرة الجواري ، وكثرة الغلمان ، وكان أغلبهم من الروم والفرس الذين كانوا على درجة عالية من الثقافة ، وقد اهتم النخاسون بتعليمهم الأدب والشعر والغناء والموسيقى لبيعهم في الأسواق بأثمان باهظة ".[١]

٥- البحث عن وسائل جديدة للمتعة :

انتشر في العصر العباسي مجالسة الغلمان – خاصة الغلام الأمرد – حيث إن من أوغلوا في الفجور لم تعد ترضيهم المرأة ، فلجأوا إلى الغلمان ، الذين يعملون سقاة في دور اللهو ، وكان معظمهم من الفرس والروم ، وليس من شك فى أن هذا أتاح للغلام أن تمتع بمكانة ومنزلة رفيعة عند الخلفاء العباسيين ، ويعد التغزل بالغلمان من الشذوذ والآفات الاجتماعية ــ الذي يميل بصاحبه إلى عشق ابن جنسه والعزوف عن الجنس الآخر ، لأنه يغازل الجواري كما يغازل الغلمان ، ويستحسن الغلام لأنه كالفتاة"[٢]. وكانت هناك أسباب وراء هذه الظاهرة منها : اختلاط العرب بالعجم المترفين ، وكثرة الغلمان من الأتراك والروم ، فانتشرت هذه الآفة حتى أصبح الإعلان عنها والتصريح بها أمراً عادياً ، واشتهر العديد من الشعراء الإباحيين في هذا الغرض ، فكانوا يلتقون على موائد الشراب ، وبين أيديهم الغلمان والقيان ، فلا يتورعون عن إثم ، ولا يكفون عن هزل ، وسرت هذه الموجة إلى الشعراء الغزليين ، حتى طغى الغزل بالمذكر على كل قول ، وغرق في هذه اللجة ، من كان يتغزل بالمؤنث، فجعل ضمير الأنثى مذكراً "[٣].

---

[١]- ينظر : الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثاني والثالث بعد الهجرة – مليحة رحمة الله- مطبعة الزهراء –بغداد –سنة ١٩٧٠م/ص٨٤.

[٢]- ينظر : أبو نواس –عباس محمود العقاد –دار الكتاب العربي –بيروت –ط (١)–سنة ١٩٦٨م /ص٢٤-٢٧.

[٣]- ينظر : العصر العباسي الأول –أمين أبو الليل –محمد ربيع –مؤسسة الوراق – عمان – الأردن –ط(١)–سنة ٢٠٠٨/ص١٢٣.

المحور الثاني- مقاصد الغزل النسوي في العصر العباسي:

لقد تطرقت النساء إلى جميع الأغراض الشعرية ، مثلهن – فى هذا الأمر – مثل الرجال ، حيث إنهن نظمن الشعر ، وأجدن النظم ، فلا ينكر أحد أن للمرأة مشاعرها وأحاسيسها الخاصة ، فهى كالرجال تشاطرهم المشاعر تحب وتعشق ، تنتظر معشوقها، وتتلهف عليه ، وتتمنى حضوره ، وتعبر عن مكنونات مشاعرها في أغراض شتى من مدح وهجاء ورثاء وغزل وعتاب وشكوى ...إلخ ، حيث إن هذه الأغراض لاءمت طبع النساء ، واستجابت لشاعريتهن من خلال عواطفهن .

كان هذا من أسباب أن صار غرض الغزل أكثر جذباً للانتباه ، وخاصة تغزل المرأة في الرجل بصفة عامة والغلمان والعبيد بصفة خاصة مما جعلها محوراً مهماً للبحث والدراسة .

(الغـــــــــــزل):

ما يهم قبل البدء فى التعرض لصور الغزل و أسبابه و مضامينه هو أن نؤكد أنه قد حدث تغير فى مسار الغزل في العصر العباسي عن العصور التي سبقته ، وذلك لكثرة مظاهراللهو والترف ، وخالطت المرأة الرجل في مجالس اللهو و الشراب .

فاتجه الشعراء إلى وصف جمال الجواري ، فتعدد ذكر أسمائهن في شعر الشعراء ، مما جعل للغزل في العصر العباسي خصوصيته ، حيث يعد هذا العصر عصر امتزاج الثقافات والحضارات ، كما كان لدخول القيان والجواري تأثير في سلوك المجتمع وعاداته سلباً وإيجاباً، واتجاه بعض من الشاعرات بذكر الغلمان ، وتغزلن فيهم ، ونظم النساء في العصر العباسي في غرض الغزل .

حيث إن الشعر كان متلائماً معهن ، فعبرن عن عواطفهن الصادقة ، وحبهن العميق، مما ألهب مشاعرهن ، وقد تذوقن ألم الجوى وحرقته ، فصورن الحب في أسمى

معانيه، وتغزلن بالمذكر ، حيث كان غزلهن يموج بالعذوبة والدعابة ، فتتقول عنان الناطفية :

كُنْتُ فِي ظِلِّ نِعْمَةٍ بِهَوَاكَا آمِنًا مِنْكِ لَا أَخَافُ جَفَاكَا

فَسَعَى بَيْنَنَا الْوُشَاةُ فَأَقْرَرْ تْ عُيُونُ الْوُشَاةِ بِي فَهَنَاكَا

وَلَعَمْرِي لِغَيْرِ ذَا كَانَ أَوْلَى بِكَ فِي الْحَقِّ يَا جُعْلْتُ فِدَاكَا.[١]

فقد عبرت الشاعرة – في الأبيات السابقة– عن حب الرشيد لها ، وأن حبه لها نعمة وهناء ، كما أنها ردت على قول الوشاة الذين أرادوا أن يفسدوا العلاقة بينهما ، ولكنها فدت الرشيد بنفسها من أجل الحفاظ على حبها له .

كما عبرت " عريب " – في شعرها – عن حبها لمحبوبها ، قائلة :

بِأَبِي كُلُّ أَصْهَبَ أَزْرَقَ الْعَيْنِ أَشْقَرْ

جُنَّ قَلْبِي بِهِ وَلَيْسَ جُنُونِي يُنْكَرْ. [٢]

أخذت الشاعرة – في البيتين السابقين– تصف محبوبها ،ذاكرة أوصافه ، فهو أزرق العينين ، أشقر الشعر ، حيث إنها أصيبت بالجنون ، لأنها تراه يستحق ذلك لشدة جماله. وتقول " فضل البصرية " ، في سعيد بن حميد :

وَعَيْشِكَ لَوْ صَرَّحْتُ بِاسْمِكَ فِي الْهَوَى لَأَقْصَرْتُ عَنْ أَشْيَاءَ فِي الْهَزْلِ وَالْجَدِّ

وَلَكِنَّنِي أُبْدِي لِهَذَا مَوَدَّتِي وَذَاكَ وَأَخْلُو فِيكَ بِالْبَثْ وَالْوَجْدِ

مَخَافَةَ أَنْ يُغْرِي بِنَا قَوْلُ كَاشِحٍ عَدُوٍّ فَيَسْعَى بِالْوِصَالِ إِلَى الصَّدِّ.

(٣)

---

[١]– العقد الفريد – أحمد بن عبدربه الأندلسي – ت / أحمد أمين –لجنة الترجمة للتأليف والنشر – مصر – ط(١)–سنة ١٩٦٥ /٦:٥٧.

[٢]– الجواري والمغنيات – فايد العمروسي –دار المعارف – مصر –سنة ١٩٦١م /ص١٧٨.

[٣]– المستظرف من أخبار الجواري –جلال الدين السيوطي – ت/ صلاح الدين المنجد –دار الكتاب – بيروت – ط(٢)– سنة ١٩٧٦م / ٥٠–٥١.

عبرت الشاعرة – في الأبيات السابقة – عن آلام الجوى ، وحرقة الهوى ، وصبابة الشوق ، فهى لم تصرح باسم معشوقها ، حتى لا يفسد الوشاة العلاقة بينها وبين محبوبها ، فيعكروا لحظات الحب الصافية بينهما .

وقالت " عريب" ، في محبوبها :

أَمَّا الْحَبِيبُ فَقَدْ مَضَى بِالرَّغْمِ مِنِّى لَا الرِّضَا

أَخْطَأْتُ فِي تَرْكِي لِمَنْ لَمْ أَلْقَ مِنْهُ عِوَضَا

لِبُعْدِهِ عَنْ نَاظِرِي صَوْتُ بِعَيْشِي عُرِضَا. (١)

فقد عبرت الشاعرة – في الأبيات السابقة– عن عواطفها الدفينة ومشاعرها الجياشة تجاه محبوبها ، فأتت بألفاظ مؤثرة في نفس المتلقي .

إن ما أوردناه هو بعضٌ من نماذج غزل النساء في الرجال ، ولابد من الإشارة إلى غزل النساء في الغلمان ، وهو أقل بكثير من غزل النساء في الرجال ، وربما يعود إلى القيود الاجتماعية التي تمنعها من مثل هذا ، أو الرقابة الاجتماعية حيث تعيش النساء في مجتمع يقف الرجال بالمرصاد لعواطفهن ؛ بالإضافة إلى قسوة الواقع ، كما أن حاجة المرأة إلى القوة جعلتها تتصور الرجل جبلاً في المنعة والحفظ ، تأوي إليه في الشدائد ، وتلوذ به في حسن دفاعه في النوائب ، وهذا الجبل قد زال وصارت المرأة بقاع أملس من الأرض بارز للشمس ".(٢)

ونشأ مثل هذا اللون من الغزل نتيجة وجود الغلمان في القصور وفي حانات الشراب ، فاختلط بالأميرات والجواري ، فعبرن عن عاطفة صادقة ، لأنهن لسنَ في حاجة إلى التكسب ، فهن يعبرن عن صورة المحب العاشق المبتلى ، الذي لا يصحو من

١– الإماء الشواعر –أبو الفرج الأصفهاني /ص١٣٨.

٢– شعر النساء –دراسة في خيال الشاعرة العربية القديمة – إبراهيم عبدالرحمن الغنيم –مؤسسة الرسالة –ط(١)–سنة ٢٠٠١/ص٤٦–٤٧.

سكرته، حيث عبرت عُلية بنت المهدي ، وهى سليلة بيت ملك ، في تغزلها بمحبوبها ؛ مصرحة – في بعض الأحيان– باسم من تحب ، كما كانت تخفي – أحياناً أخرى– اسمه وراء اسم مستعار ، وثالثة تكتم اسمه ولا تصرح به ، حيث كانت تحب خادماً لها يدعى " طل " وترسل إليه شعراً ، فأصبحت مثل الشعراء الرجال ، فهى لا ترى عيباً في تعدد من عشقتهم من الرجال ، كما أن الرجال لا يرون عيباً في تعدد معشوقاتهم من النساء ، ولا ترى حرجاً في التغزل بالخدم والغلمان ، وكذلك الرجال لا يرون حرجاً في التغزل بالإماء والجواري ، فتقول:

قَدْ كَانَ مَا كُلِّفْتُهُ زَمَنًا يَا طِلُّ مِنْ وُجِدَ بِكُمْ يكْفِي كَانَتْ

حَتَّى أَتَيْتُكَ زَائِراً عَجِلاً أَمْشِي عَلَى حَتْفٍ إِلَى حَتْفِ. .[١]

تعلقت الشاعرة بخادمها فأحبته ، دون مبالاة بوجود فوارق طبقية من كونها ابنة الخليفة العباسي ، ولكن همها الأكبر ما يمليه قلبها بغض النظر من كونه عبداً أو سيداً ، أبيضاً أو أسوداً ،مما وجد طيب الحديث بينهما ،فحلف عليها أخوها الرشيد ألا تكلم " طلا" ، ولا تسميه باسمه ، فضمنت له ذلك ". [٢]

وتبوح – في موضع آخر– بأشعار تذكر فيها محبوبها، تقول:

يَا مُوقِدَ النَّارِ بِالصَّحْرَاءِ مِنْ عُمْق قُمْ فَاصْطَلِ النَّارَ مِنْ قَلْبٍ بِكُمْ قَلِق

النَّارُ تُوقِدُهَا حِيناً وَتُطْفِئُهَا وَنَارُ قَلْبِي لَا يُطْفَى مِنَ الْحَرَق [٣]

---

[١]– نزهة الجلساء في أشعار النساء – جلال الدين السيوطي – ت/ صلاح الدين المنجد – دار المكشوف – بيروت – ط(١)–سنة ١٩٥٨م /ص٣٨

[٢]– نهاية الأرب في فنون الأدب –النويري –دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة –ط (١)–سنة ١٤٢٣هـ / ٤:٢١٣.

[٣]– كتاب الأغاني – أبو الفرج الأصفهاني /١٠:٢١٣

تقول بأنه يحرق قلبها بناره ، وهى تخمد نار حبها في قلبها ، وهى تصور لنا مدى تلاعبه بمشاعرها وأحاسيسها ، وهى تتحمل وتعاني من محرقة الحب متمردة على من حولها في البلاط العباسي مع عدم مراعاة فوارق طبقية اجتماعية .

وتأتى "خديجة بنت المأمون "، قائلة في خادمها :

تَاللَّهِ قُولُوا لِي لِمَنْ ذَا الرَّشَا الْمُثْقَلُ الرَّدِفُ الْهَضِيمُ الْحَشَا

أَظْرَفُ مَا كَانَ إِذَا مَا صَحَا وَأَمْلَحُ النَّاسِ إِذَا مَا انْتَشَى

وَقْد بَنَى بُرْجُ حَمَامٍ لَهُ أَرْسَلَ فِيهِ طَائِراً مُرْعِشا

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ حَمَامًا لَهُ أَوْ بَاثِقًا يَفْعَلُ بِي مَا يَشَا

لَوْ لَبَسَ الْقُوهِى مِنْ رِقَّةٍ أَوْجَعَهُ الْقُوهِى أَوْ خَدَشَا.[١]

لقد عبَّرت الشاعرة – في الأبيات السابقة– عن حبها الشديد لخادمها ، وهى سليلة بيت ملك ، واصفة إياه وصفاً جسدياً ، فهو كالغزال الرشيق الجميل ، وأملح الناس حسناً ؛ إذا استيقظ من نومه ، فكان تعبيرها من دون خوف من أحد ، وترتفع مع محبوبها إلى أسمى مراتب الحب على الرغم من العادات والتقاليد التي تحكمها ولكنها تتمرد عليها .

وتقول عُلية بنت المهدي ، معبرة عن مدى حبها لمحبوبها ، ولم تظهر اسمه :

كَتَمْتُ اسْمَ الْحَبِيبِ عَنْ الْعِبَادِ وَرَدَّدْتُ اسْمَ الصَّبَابَةِ فِي فُؤَادِي

فَوَا شَوْقِي إِلَى نَادٍ خَلَي لَعَلِّي بِاسْمِ مَنْ أَهْوَى أُنَادِي. [٢]

---

[١]– نزهة الجلساء في أشعار النساء – جلال الدين السيوطي – ت/ صلاح الدين المنجد – دار المكشوف – بيروت – ط(١)–سنة ١٩٥٨م /ص٥٤–٥٥.

[٢]– السابق /ص ٤٨–٤٩.

وورد في موضع آخر تصريحا باسم محبوبها " طل " :

يَا رَبُّ إِنِّي قَدْ حَرَضْتُ بِهَجْرِهَا فَإِلَيْكَ أَشْكُو ذَاكَ يَا رُبَّاهُ

مَوْلَاةُ سُوءٍ تَسْتَهِينُ بِعَبْدِهَا نِعْمَ الْغُلَامُ وَبِئْسَتِ الْمَوْلَاه

طِلٌّ وَلَكِنِّي حُرِمْتُ نَعِيمَهُ وَوِصَالِ إِنْ لَّمْ يُغِثْنِي الله .[١]

لقد عانت عُلية من حبها لمحبوبها وإخفاء اسمه ،فرفعت أكف الضراعة إلى المولى – عز وجل –تشكو حزنها وبعد محبوبها ، فتحملت كل هذا في قلبها شوقاً وصبابة ، ولا يشعر بهذا أحد غيرها ، فتمنت أن يأتي اليوم الذي تنادي اسمه من دون تكتم.

وقد قالت عريب في خادمها :

أَمَّا الْحَبِيبُ فَقَدْ مَضَى بِالرَّغْمِ مِنِّى لَا الرِّضَا

أَخْطَأْتُ فِي تَرْكِي لِمَنْ لَمْ أَلْقَ مِنْهُ عِوَضَا

لِبُعْدِهِ عَنْ نَاظِرِي صَوْتُ بِعَيْشِي عُرِضَا. [٢]

فقد عشقت الشاعرة خادمها " هاشم المنذري " ، وتزوجته سراً ، فقام الخليفة المتوكل بإبعاده إلى مكان بعيد ، فقالت فيه الأبيات السابقة .

كما أن علية بنت المهدي استخدمت في الكناية في ذكر محبوبها من دون تصريح باسمه ، لأنها من صفوة المجتمع " بيت ملك " ، وهى تحب خادماً ليس من طبقتها الاجتماعية ، فأرادت أن تلفت نظر الآخرين باسم من تحب ، فبدلاً من " طل " قالت في شعرها " ظل " ، والآخر بدل من رشأ " قالت في شعرها " زينب " ، على أساس أنهما جاريتين ، فقالت :

---

[١]– أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق –أبو بكر محمد الصولي – مطبعة الصاوي –سنة ١٩٣٦ /ص٦٥

[٢]– الإماء الشواعر –أبو الفرج الأصفهاني /ص١٣٨.

وَجِدَ الْفُؤَادُ بِزَيْنَبَا وَجْدًا شَدِيدًا مُتْعِبَا
أَصْبَحْتُ مِنْ وَجْدٍ بِهَا أُدْعَى شَقِيًّا مُنْصَبَا
وَلَقَدْ كَنَيْتُ عَنِ اِسْمِهَا عَمَدًا لِكَيْ لَا تَغْضَبَا
وَجَعَلْتُ زَيْنَبَ سُتْرَةً وَأَتَيْتُ أَمْرًا مُعْجِبَا
قَالَتْ وَقَدْ عَزَّ الْوُصَا لُ وَلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبَا
وَاللهِ لَا نِلْتُ الْمَوَ دَةَ أَوْ تَنَالُ الْكَوْكَبَا.[١]

لم تقتصر الشاعرة في غزلها على معشوق واحد ، بل تعدد معشوقوها ، فعلقت خادماً آخر يسمى " رشأ" ، ومن شدة حبها أخفت اسمه عن الناس ، خوفاً من الرشيد ، فكنته باسم جارية تدعى " زينب " .

واستخدمت مكنية " طل " بـــ " ظل " في قولها :

أَيا سُرْوَةَ الْبُسْتَانِ طَالَ تَشَوُّقِي فَهَلْ لِي إِلَى ظِلٍّ لَدَيْكَ سَبِيلُ؟.
مَتَى يَلْتَقِي مَنْ لَيْسَ يَقْضِي خُرُوجَهُ وَلَيْسَ لِمَا يَقْضِي إِلَيْهِ دُخُولُ. [٢]

أخفت الشاعرة اسم محبوبها " طل " وقامت بتغييره إلى اسم " ظل " ومرجع ذلك خوفها عليه ، وحماية له .

وفي موضع رابع ، كنته بـــــ" سلمى " ، راجية أن يجمعهما ببيت واحد ، فقالت :

أَلَيْسَتْ سُلَيْمَى تَحْتَ سَقْفِ يَكُنُّهَا وَإِيَّايَ هَذَا فِي الْهَوَى لِي نَافِعُ
وَيُلْبِسُهَا اللَّيْلُ الْبَهِيمُ إِذَا دَجَى وَتُبْصِرُ ضَوْءَ الْفَجْرِ وَالْفَجْرُ سَافِعُ
تَدُوسُ بُسَاطًا قَدْ أَرَاهُ وَانْثَنِى أَطَاهُ بِرِجْلِي لِخِلٍّ ذَا لِي شَافِعُ .[٣]

---

[١]- أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم /ص٦١
[٢]- السابق /ص ٦١-٦٢
[٣]- السابق /ص ٦٩

تغزلت الشاعرة في الأبيات السابقة لتعبر عن أنوثتها ، وتقول بأنها موجودة ، فأوت إلى بيت آمن مع حبيب تلبسه ويلبسها كما يلبس الليل العالم ، فاستعارت للخادم اسم الليل ــ لأنها لا تستطيع الإفصاح عنه أمام أعين الوشاة ، فهو ليل مستور ومجهول.

وتقول علية بنت المهدي في حبها لخادمها :

الْقَلْبُ مُشْتَاقٌ إِلَى رَيْبٍ يَا رَبُّ مَا هَذَا مِنَ الْعَيْبِ

قَدْ تَيَّمْتَ قَلْبِي فَلَمْ أَسْتَطِعْ إِلَّا الْبُكَا يَا عَالِمَ الْغَيْبِ

خَبَّأْتُ فِي شِعْرِي ذِكْرَ الَّذِي أَرَدْتُه كَالْحُبِّ فِي الْحَبِيبِ".(١)

لقد عبرت الشاعرة في الأبيات السابقة عن الواقع الذي تعيشه المرأة في هذا العصر ، فقد امتلكت أن تبوح عما يجيش بصدرها في هذا العصر .

وتقول في موضع آخر :

مَا زِلْتُ مُذْ دَخَلْتُ الْقَصْرَ فِي كَرْبٍ أَهْذِي بِذِكْرِكَ صَبًّا لَسْتُ أَنْسَاكَ

لَا تَحْسَبَنِّي وَإِنَّ حُجَّابَ قَصْرِكُمُ سَدُّوا الْحِجَابَ وَحَالُوا دُونَ رُؤْيَاكَ

لَكِنَّ حُبَّكَ أَبْلَانِي وَعَذَّبَنِي وَأَنْتَ فِي رَاحَةِ طُوبَاكَ طُوبَاكَ".(٢)

تتحدث الشاعرة في الأبيات السابقة على لسان محبوبها وعدم تمكنه من رؤيتها على الرغم من وجودهما في قصر الخلافة ، وهذا يشكل خطراً عليها لكونها سيدة من سيدات القصر فلا يجوز تغزلها بخادم ، ولكنها استطاعت الخروج عن بعض القيود التي كانت مكبلة بها ، وانتجت قيماً جديدة تضمن لها بعضاً من حقوقها ، لأنها وجدت في السلطة أو الحكم غير قادرة على إعطائها حقها .

---

[١]- السابق /ص١٢٤

[٢]- أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم /ص ٦٨

ولكن عندما تمكن منها حب " طل " ، فأخذت تصف مفاتنه من طول القامة ، والطلعة البهية ، قائلة فيه :

سَلِّمْ عَلَى ذِكْرِ الْغَزَالِ الْأَغْيَدِ الْحَسَنِ الدَّلَالْ

سَلِّمْ عَلَيْهِ وَقُلَّهُ يَا غِلَّ أَلْبَابِ الرِّجَالْ

خَلَّيْتَ جِسْمِي ضَاحِكًا وَسَكَنْتَ فِي ظِلِّ الْحِجَالْ

وَبَلَغْتَ مِنِّي غَايَةً لَمْ أَدْرِ فِيهَا مَا احْتِيَالِي.[١]

وأخذت تتسلل من القصر خوفاً من الحراس ، قائلة :

قَدْ كَانَ مَا كُلِّفْتُهُ زَمَنًا يَا طِلُّ مِنْ وُجِدَ بِكُمْ يَكْفِي

كَانَتْ حَتَّى أَتَيْتُكَ زَائِرًا عَجِلاً أَمْشِي عَلَى حَتْفٍ إِلَى حَتْفِ. [٢]

وأخذ كل من " طل " و " علية بنت المهدي " يتبادلان الزيارة ، ولكن يبدو أن " طل " مل زيارتها ، وشعرت هي بذلك ، فقالت :

إِنِّي كَثَرْتُ عَلَيْهِ فِي زِيَارَتِهِ فَمَلَّ وَالشَّيءُ مَمْلُولٌ إِذَا كَثُرَا

وَرَابَنِي مِنْهُ إِنِّي لَا أَزَالُ أَرَى فِي طَرْفِهِ قِصَرًا عَنِّي إِذَا نَظَرَا[٣]

وتقول "ستيرة العصيبة "، حينما رأت خيال حبيبها في نومها ، قائلة :

أَلَمَّ خَيَالُ طِيبَةَ أَجْنَبِيًّا فَحَيَّا الرَّكْبُ دُونِي وَالْمَطِيَّا

لَمَّا حَيَيْتُهُمْ يَا طَيْفُ دُونِي وَأَنْتَ أَحَبَّهُمْ شَخْصًا إِلَيَّا

---

[١]- السابق /ص٨٥

[٢]- السابق / ص٨٠

[٣]- أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم /ص٧٠

أَلَمَّ بِنَا فَسَلَّمَ ثُمَّ وَلَّى عَلَى الْهُجَّادِ تَسْلِيماً خَفِيًّا

فَلَمَّا أَنْ كَشَفْتُ غِطَاءَ رَأْسِي إِذَا أَنَا لَا أَرَى إِلَّا النَّضِيَا

وَأَيْنَقْنَا الثَّلَاثَ مُلَقِّيَاتٍ عَلَى مَتْنِ الطَّرِيق وَصَاحِبِيًّا

وَزَرْقًا بِالْجَفِيرِ مُنَشِّيَاتٍ وَشَوْحَطَةٍ تَرِنُّ وَمَشْرِفِيًّا

فَكُلِّفْنَا سَرَاهَا أَنْ رَحَلْنَا وَاحْسَسْنَا الْأَمِيرَ الْعَامِرِيًّا.[١]

رأت الشاعرة خيال محبوبها في المنام فحيا الجميع ، ولم يسلم عليها تقول، فعبرت – بزفراتها– عما يجيش بصدرها بين جمع من النساء .

من خلال ماسبق يتبين وجود فرق واضح بين اللهو والتمرد ، حيث يعني شعر اللهو بالعبث والضياع ، نتيجة انتشار الترف والبذخ في داخل البلاط العباسي ، أما التمرد ؛ فيقوم التمرد على فعل احتجاجي في مكنونه ، أي شيء قابل للإدانة ، وذلك لما يحمله من دوافع ضيقة الأفق تستوجب الرفض والإنكار.

[١]– معجم النساء الشاعرات /ص١٢١

المحور الثالث- التمرد النسوي في الشعر العباسي:

يعرف التمرد بأنه : اكتساب اللفظ دلالة لا تتطابق مع دلالته اللغوية ، لكنها لا تبعد تماماً ، بحيث تكون الدلالة اللغوية متضمنة الدلالة الاصطلاحية. [١] أما من الناحية النفسية ، فيرى سعد عبد الرحمن : أن شخصية الفرد وخصائصه ومقوماته ، تتشكل من خلال عملية احتكاكه وتعامله وتفاعله مع عناصر بيئته الخارجية ...".[٢]

إذ لاشك فيه أن الوضع الفكرى السائد والضغوط الاجتماعية وما يحيط بالفرد من سياقات متعددة ، وما يؤثر عليه في بيئته الذاتية و الثقافية و المجتمعية ؛ كل ذلك له الأثر الأكبر على تمرد الإنسان ، وإذا ما نظرنا إلى واقع العصر العباسي ، نجد التنوع في الإمكانات البشرية ، والثراء في المعارف والثقافات ، مع توافر أسباب الثراء المادي من جهة ، وسوء توزيعه من جهة أخرى ، والتفاعل الحضاري ، التناقض بين التشكلات الطبقية العليا ، والقوى الاجتماعية الدنيا ، من جهة ثالثة .[٣] فالتمرد يرفض كل ما لا يتوافق مع إرادته ، وما يقمع حريته ــ ويكبل أحلامه ، وما هو إلا تحدٍ ومعارضة ؛ موجه ضد وضع من الأوضاع ، وضد المسؤول عن هذا الوضع. [٤]

---

[١]- ينظر : المنجد في اللغة والإعلام – لويس معلوف – بيروت – ط (٣٥)-سنة ١٩٩٦م /ص باب مرد

[٢]- ينظر : السلوك الإنساني – سعد عبد الرحمن – مكتبة الفلاح – ط(٣)- سنة ١٩٨٣/ص ص٤٦

[٣]- قراءات في الأدب العباسي – الحركة الشعرية – أحلام الزعيم – جامعة دمشق – سنة ١٩٩١م /٣:٨٣

[٤]- ينظر : جون كروكستانك ، البير كامي وأدب التمرد – نرجمة وتعليق / جلال العشيري – الهيئة المصرية العامة للكتاب – سنة ١٩٨٠م ،ص١٤٩

وتكمن أهم الأسباب والدوافع التي تؤدي إلى التمرد فى تأثير البيئة الخارجية على تشكيل شخصية الإنسان ، لأن الشخصية تتأثر تأثراً واضحاً يمثل هذه الأمور.[١]

ولا يعد التمرد رفضاً – وإن كان الرفض أول خطوات التمرد – وهو ليس رفضاً مطلقاً ، حيث إن الفنان المتمرد لا يستطيع أن يعيش على الرفض التام أو التمرد المطلق ، لأنه " لابد للفنان – حين يرفض الواقع – من أن يتحمس لبعض جوانب أخرى من الحقيقة، أو الواقع الخاص الذى يكونه لفكره ما ، كانت ذاتية أو مجتمعية أو إبداعية ، ومهما تنكر الفنان للواقع ، فإنه لن يستطيع مطلقاً أن يتهرب منه تماماً ".[٢] ومن أنواع التمرد:

التمرد الفني:

وهو: تمرد على القصيدة العربية ، حيث إن الشعراء لم يذكروا الأطلال ، كما اعتاد شعراء الجاهلية في كثير من الأحيان أن يفعلوا ، إذ كانوا يذكرون ديار المحبوبة بعد رحيل أهلها ، بسبب نضب موارد المياه ، فحينما يذكر الديار يذكر أنها أصبحت مقفرة بعد أن رحل الأحبة عنها .

وحين أتى العصر العباسي ، وهبت رياح التمرد على القصيدة العربية ، جاء أبو نواس وثار على بنية القصيدة الجاهلية ، ثائراً على الأطلال ، ساخراً من البكاء عليها ، بحجة أنها لا تناسب عصره ، فبدأ قصائده بالخمريات وغيرها من الأغراض التي تناسب عصره ، حيث أشار أبو نواس بضرورة الطبع لا التقليد ، ونادى باستبدال وصف الأطلال بوصف الخمر ، وقد طبَّق دعوته هذه على الكثير من

---

[١]– ينظر : أصول علم النفس – أحمد عزت راجح – المكتب المصري الحديث – ط(٨)– (د.ت)/ص١٥

[٢]– فلسفة الفن في الفكر المعاصر – زكريا إبراهيم – مكتبة مصر – القاهرة –(د.ت)– /ص٢١٣.

قصائده ، ولكن عيب عليه هذا الاستبدال الذي لم يُضف جديداً يذكر ، وتعتبر دعوته هذه ، إذا قام بتطبيقها من دون اللجوء إلى الاستبدال ؛ لكان يعد من كبار النقاد".(١)

وبرزت ظاهرة التمرد الفني في الشعر العباسي ، فلم تسر القصيدة في العصر العباسي على ما كانت عليه من قبل ، فلم يكن المرأة الشاعرة بمنأى عن هذا التمرد ، فتمردن على المقدمات التقليدية بجميع أنواعها ، وشغلتهم الأغراض الوجدانية التي تعبر عن تجاربهن الذاتية وعن الصدق الفني .

وتأتى "خديجة بنت المأمون "، قائلة في خادمها :

تَاللَّهِ قُولُوا لِي لِمَنْ ذَا الرَّشَا الْمُثْقَلُ الرَّدِفُ الْهَضِيمُ الْحَشَا

أَظْرَفُ مَا كَانَ إِذَا مَا صَحَا وَأَمْلَحُ النَّاسِ إِذَا مَا انْتَشَى

وَقْد بَنَى بُرْجُ حَمَامٍ لَهُ أَرْسَلَ فِيهِ طَائِراً مُرْعِشا

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ حَمَامًا لَهُ أَوْ بَاثِقًا يَفْعَلُ بِي مَا يَشَا

لَوْ لَبَسَ الْقُوهِى مِنْ رِقَّةٍ أَوْجَعَهُ الْقُوهِى أَوْ خَدَشَا.(٢)

لم تبدأ الشاعرة في الأبيات السابقةبالمقدمات التقليدية ، ورمزية هذه الطريقة تتمثل في أنها تحررت من طغيان البداية بالمقدمات التي سلكها السابقون ، مما جعلها تتمرد على سابقيها ، حيث إن الشعر مرتكزه الأول هو الشعور والعاطفة والإحساس ، وكلها يعبر عنها الشعراء بومضات من الألفاظ المناسبة.

١- ينظر : النقد الأدبي الحديث – محمد غنيمي هلال – دار الثقافة –بيروت –سنة ١٩٧٥/ص١٥٩

٢- نزهة الجلساء في أشعار النساء – جلال الدين السيوطي /ص٥٤-٥٥.

التمرد النفسي:

الأحداث المحيطة بالإنسان لها دور كبير في شخصيته ، والأديب ليس بمعزل عن هذه الأحداث والظروف ، بل إنه جاء مرهوناً بها بسلوكه ، وأقواله وكناياته، فنظريات التحليل النفسي تكشف عن مكنونات الأديب المختلفة ، التي شكَّلت إبداعاته، وهناك من ينادون بحمل الإشارات والرموز المختلفة في العمل الأدبي على مدلولات نفسية مختلفة ، ولذلك تعددت المناهج في تناول الأعمال الأدبية ، بين التاريخية والاجتماعية والنفسية والجمالية ، في محاولة منها لسبر أغوار النفس ، والبحث عن ألغازها وتركيبها المعقد ، الذي ينعكس قولاً وسلوكاً ".[١]

وبرز التمرد النفسي في الشعر العباسي ، حيث يكتنف الصراع ذات الشاعر ، مما جعله يلجأ إلى زجر النفس ، فيأتي النص ترجمة لنفسية الشاعر ، وما يرقد في أعماقها من صراع وتحسر ونكبات من المجتمع .

ومن أمثلة ذلك قول " عُلية بنت المهدي " :

بُني الحُبُّ على الجَورِ فلو ... أَنْصِفَ المعشوقُ فيهِ لَسُمجْ

ليسَ يُسْتَحْسَنُ في حُلم الهَوى ... عَاشقٌ يُحْسن تأليفَ الحُجُجْ

لَا تَعِيْبَن مِن مُحبٍّ ذلَّة ... ذِلَّةُ العاشق مفتاحُ الفَرجْ

وقَليلُ الحُبِّ صِرْفاً خَالِصاً ... لكَ خَيرٌ من كَثيرٍ قَدْ مُزِجْ[٢]

تعاني الشاعرة من حالة نفسية صعبة ،فيكتنف الصراع ذات الشاعرة ، مما جعلها تلجأ إلى زجر نفسها ، وترى أن التذلل للمحبوب واجب ، وأن الذلة مفتاح الفرج وغاية الوصال ، كما ترى أن قليلاً من الحب الصادق الوفي خير من كثير من الحب المزيف

---

[١]- ضحى الإسلام -أحمد أمين – دار الكتب العربية -(د.ت)/١:١٦٤

[٢]- ديوان علية بنت المهدي /ص٢٣.

التمرد الاجتماعي:

هو خروج الإنسان عن القيم والعادات الاجتماعية السائدة في أي عصر من العصور ، والكفر بهذه العادات والتقاليد ، والتمرد عليها ؛ لعدم انسجامها مع المجتمع ، ويصم الشعراء آذانهم عن أقوال مجتمعاتهم ، لتجسيد " موقف الرفض والتحدي والتمرد ...فلم يعد الشاعر يفهم ما يقوله مجتمعه ، لأن الشاعر فقير ، تهمه مقومات حياته الاجتماعية والمعيشية ".[١]

فقد وُجد – في المجتمع العباسي– الموالي والأسر الحاكمة ، فنالت الأسر الحاكمة العباسية الكثير من المدح والثناء ، بيد أن هذه الأسر تعرضت للهجاء والذم حتى غابت دولتهم ، فـــ " لم يكد يبتدئ القرن الثاني ، حتى ظهر المجون وانتشر ، ووصل إلى قصور الخلفاء ، ثم كانت ثورة العباسيين ، فتم انتصار الفرس على العرب ...فتم انتصار العبث والمجون ". [٢]

وجاء العصر العباسي ، وتباينت الطبقات في المجتمع ؛ فـــــــــــ " كان اللهو شائعاً بين أفراد الطبقات المتباينة ، بتأثير العوامل الاجتماعية المختلفة ، وليس ضرورياً لمن يريد أن يستبيح محرماً أن يجهر به ".[٣]

ولاشك فى أن لكل مجتمع عادات وتقاليد ، وخاصة أننا نعيش في المجتمع العباسي ، وعلى الرغم من من انفتاحه على الثقافات الأخرى فإنه يتمسك بالعادات والتقاليد .وإذا نظرنا إلى البلاط العباسي ، نجد فيه عادات وتقاليد ، وهو عبارة عن مجتمع عربى مصغر، ولكن كان التمرد أو الرفض من قبل المرأة العباسية ، حيث إنها ثارت على عاداتها وتقاليدها ؛ مما يشي بانخراط المرأة في الناحية الثقافية ؛ سواء كان ذلك على مستوى الإماء أم الأمراء .

---

[١]– ظواهر من التمرد في نماذج من شعر العصر العباسي الأول – صالح على سليم الشتيوي – (د.ت)–(د.ط)–/ص٨٩–٩٠

[٢]– حديث الأربعاء – طه حسين – ط دار المعارف – مصر – سنة ١٩٥٨م /ص٨١

[٣]– أمراء الشعر العربي في العصر العباسي– أنيس المقدسي –دار العلم للملايين – بيروت – ط(١)– سنة١٩٧٧/ص٥٤.

فبدأت تتنفس – من خلال مشاعرها الفياضة إزاء معاناتها – آلام الجوى ، فتبوأت علية بنت المهدى مكانة كبيرة في ثورتها على نظام الحكم ، فهى تعطي صورة للمرأة في عصرها ، حيث إنها تعيش في مجتمع يقف بالمرصاد لعواطفها ، ويزجرها بعنف في التعبير عن مشاعرها وأحاسيسها ، والرجال يُبيحون لأنفسهم ، ما لم يبيحوه للمرأة ، فانفجرت ، وثارت على كل ما يقف أمامها من قيم وغيرها في الحياة الاجتماعية، فتمردن على الأعراف الاجتماعية ، وتنكرن لها ، فأعلن السلاح في وجوه العادات والتقاليد من أجل المتعة الذاتية فقالت :

تَعَالُوا ثُمَّ نَصْطَبِحُ وَنَلْهُو ثُمَّ نَقْتَرِحُ

وَنَجْمَعُ فِي مَلَذَّتِنَا فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ جَمَحُوا".[١]

على الرغم من الانفتاح الذي كانت تعيشه الدولة العباسية فإن المرأة لم يُسمح لها أن تقاسم الرجل فيما يفعل ، فتصطدم بالواقع ، وتعود يائسة قانطة ، فتتمرد حينما لا تسطيع تحقيق ما تحلم به ، قائلة :

الشَّوْقُ بَيْنَ جَوَانِحِي يَتَرَدَّدُ وَدُمُوعُ عَيْنِي تَسْتَهِلُّ وَتَنْفَدُ

إِنِّي لَأَطْمَعُ ثُمَّ أَنْهَضُ بِالْمُنَى وَالْيَأْسُ يَجْذِبُنِي إِلَيْهِ فَأَقْعُدُ ".[٢]

وتقول في موضع آخر :

الْقَلْبُ مُشْتَاقٌ إِلَى رَيْبٍ يَا رَبُّ مَا هَذَا مِنَ الْعَيْبِ

قَدْ تَيَّمْتَ قَلْبِي فَلَمْ أَسْتَطِعْ إِلَّا الْبُكَا يَا عَالِمَ الْغَيْبِ

خَبَّأْتُ فِي شِعْرِي ذِكْرَ الَّذِي أَرَدْتُه كَالْحُبِّ فِي الْحَبِيبِ".[٣]

---

[١]– أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم /ص٧٦.

[٢]– كتاب الأغاني – أبو الفرج الأصفهاني /ص٧٣

[٣]– السابق /ص١٢٤

فقد تمردت الشاعرة على وضع غير مقبول بالنسبة للعصر الذي تعيش فيه ، فلا يمكن للمرأة أن تحب ، وخاصة إذا كانت امرأة لها مكانتها في داخل البلاط العباسي ، يقول ابن رشيق القيرواني :" العادة عند العرب أن الشاعر هو المتغزل المتماوت ، وعادة العجم أن يجعلوا المرأة هي الطالبة والراغبة هي المخاطبة ، وهذا دليل كرم النجيزة في العرب وغيرتها على الحرم ".[١]

كما أن العادات والتقاليد كانت حائلاً ، من ذكر اسم المحبوب صراحة في شعر النساء، فتقول :

مَا زِلْتُ مُذْ دَخَلْتُ الْقَصْرَ فِي كَرْبٍ أَهْذِي بِذِكْرِكَ صَبًّا لَسْتُ أَنْسَاكَ

لَا تَحْسَبَنِّي وَإِنَّ حُجَّابَ قَصْرِكُمُ سَدُّوا الْحِجَابَ وَحَالُوا دُونَ رُؤْيَاكَ

لَكِنَّ حُبَّكَ أَبْلَانِي وَعَذَّبَنِي وَأَنْتَ فِي رَاحَةِ طُوبَاكَ طُوبَاكَ".[٢]

فبالرغم مما وصلت الحياة – في العصر العباسي– من الانفتاح فإنها لا تسمح بمشاطرة المرأة للرجل ، ولذا تعمد المرأة إلى أن تتحدى هذه العادات والتقاليد وتتمرد عليها ، فتقول ستيرة العُصيبة في غلامها :

وَنَادَى بِالتَّرَحُّلِ بَعْضُ صَحْبِي فَرِحْتُ وَمُقْلَتِي فَرَقِي بِمَاهَا

فَرَاحُوا وَالشَّقِيُّ لَهُ دُيُونٌ وَاشْتِيَاقٌ مِنْ حَوَائِجَ مَا قَضَاهَا

فَأَرْخَيْتُ الْعَمَامَةَ دُونَ صَحْبِي عَلَى عَيْنِي وَقُلْتُ جَرَى قَذَاهَا

وَمَا لِي حَاجَةٌ إِلَّا بِبَكْرٍ وَمَا ذَنْبِي عَلَى أَحَدٍ سُوَاهَا

فَقَالُوا مَنْ ضِرَارِي كَيْفَ بَكْرٌ وَكَيْفَ تُرَاكَ تَرْجُو أَنْ تَرَاهَا ".[٣]

---

[١]– العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده –ابن رشيق القيرواني /ص١٢٤

[٢]– أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم /ص ٦٨

[٣]– معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام – عبده مهنا –دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – ط (١)–سنة١٩٩٠/ص١٢٠

لقد عبَّرت الشاعرة – في الأبيات السابقة – عن مشاعرها ، فنقلت ما دار بينها وبين محبوبها .

ومن خلال الدراسة يلحظ أنهن تمردن على القوالب الجامدة ، التي وضعها الرجال ، وظل الرجال يصوغون آدابهم في إطارها ، فمارست المرأة التمرد على ما هو كائن في مجتمعها ، ووجود تناقضات هيأت لظهور هذا التمرد.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، فقد قضى لهذه الدراسة أن تبحر عبر أشعار نساء تغزلن في الغلمان والعبيد في العصر العباسي بين اللهو والتمرد ، وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تأتي في مقدمة وثلاثة محاور تعقبهم خاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع ،وتشمل المقدمة التعريف بموضوع البحث ومشكلة الدراسة وأسباب اختيار الدراسة والمنهج المتبع في الدراسة ،أما المحور الأول : تغزل النساء في الغلمان في العصر العباسي(الأسباب والدوافع)،وكان من الأسباب والدوافع التالي :

- البيئة العباسية .
- الحياة اللاهية التي عرفتها الطبقة الخاصة .
- كثرة انتشار النخاسة
- اعتبار الغلمان أحد الركائز الطقسية
- البحث عن وسائل جديدة للمتعة .

والمحور الثاني : مقاصد الغزل النسوي في العصر العباسي.

والمحور الثالث : التمرد النسوي في الشعر العباسي .

والخاتمة :

وخُتمت الدِّارسة بخاتمة تلخِّص أهم النتائج التي وصلت إليها الدِّارسة، ثمَّ تلاها قائمة بأهم المصادر والمراجع التي استقت منها الدراسة .

– وبعد استثمار الجهد المبذول توصل الباحث إلى التالي :

–حالة الانفلات والانحراف الخلقي تركت تأثيرها في العصر العباسي إلا أننا لا يمكن تجاهل الإيجابيات الفكرية والحضارية في العصر العباسي .

–تجمعت في غزل النساء في الغلمان والعبيد مضامين حضارية كان من أهمها : جرآة النساء في التعبير عن مكنونات قلبها .

–اختص شعر اللهو بطائفة من الجواري والعبيد ، فكان لبعضهن سيطرة على قلوب الأحرار .

– تميز شعر النساء في التعبير عن ذواتهن بأمر يجب أن يوضع في الحسبان ، حيث عانت المرأة في كثير من الأوقات من الظلم والكبت .

–لم تستطع المرأة أن تحقق مبتغاها ، فعاشت في حزن دفين ، وبوح داخلي ملئ بالحسرات ، فاستكانت المرأة لواقعها ، وحاولت التمرد ، وإطلاق عواطفها ، بيد أنها عانت الحرمان المكبل باليأس .

–مثَّل منهج " عُلية بنت المهدي " و" خديجة بنت المأمون " النضج العاطفي والاجتماعي في التعبير عن ذواتهن فعبرن عن رفضهن وتمردهن عن دوافع تستوجب الرفض والتمرد بالنسبة لهن .

المصادر والمراجع

- الآداب العربية في العصر العباسي الأول – محمد عبد المنعم خفاجي – دار الجيل – بيروت – ط(١)- سنة ١٩٩٢م .

– الاتجاه التجديدي وأثره في نهضة الشعر في العصر العباسي الأول – دراسة نقدية تحليلية = أحمد طيب عباس – رسالة دكتوراه – جامعة أم درمان الإسلامية – السودان – سنة ٢٠٠٧.

– أدب الزهد في العصر العباسي نشأته وأشهر رجاله – عبد الستار السيد متولي – الهيئة العامة للكتاب – سنة ١٩٨٤م .

– أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق –أبو بكر محمد الصولي – مطبعة الصاوي –سنة ١٩٣٦ .

– أصول علم النفس – أحمد عزت راجح – المكتب المصري الحديث – ط(٨)- (د.ت).

– الإماء الشواعر – أبو الفرج الأصفهاني – تحقيق / جليل العطية –دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت –ط(١)–سنة ١٩٨٤.

– أمراء الشعر العربي في العصر العباسي- أنيس المقدسي –دار العلم للملايين – بيروت –ط(١)- سنة١٩٧٧.

– الأندية الأدبية في العصر العباسي في العراق حتى نهاية القرن الثالث الهجري – علي محمد هاشم –منشورات دار الآفاق الجديدة –بيروت –سنة ١٩٧٨م .

– تاريخ العصر العباسي –العصر العباسي الأول –شوقي ضيف –دار المعارف – القاهرة – ط (٨)–سنة ١٩٦٦.

– الجواري والمغنيات – فايد العمروسي –دار المعارف – مصر –سنة ١٩٦١م.

- جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوي المعيار المعرب – مركز الإسكندرية للكتاب –سنة ١٩٩٦.

- جون كروكستانك ، البير كامي وأدب التمرد – نرجمة وتعليق / جلال العشيري – الهيئة المصرية العامة للكتاب – سنة ١٩٨٠م .

-الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثاني والثالث بعد الهجرة – مليحة رحمة الله- مطبعة الزهراء –بغداد –سنة ١٩٧٠م.

- حديث الأربعاء – طه حسين – ط دار المعارف – مصر – سنة ١٩٥٨م .

- حركة الشعر والنقد في بلاط الخليفة المهدي – إيمان بنت حامد بنت معيض – رسالة ماجستير – كلية اللغة العربية –وآدابها –جامعة أم القرى –سنة ١٤٣١.

- الرق ماضيه وحاضره – عبد السلام الترمانيتي –عالم المعرفة – سنة ١٩٧٩.

- الرق من الفتح الإسلامي إلى نهاية رحيل الفاطميين – بشاري لطيفة بن عميرة – رسالة دكتوراه – جامعة الجزائر – سنة ٢٠٠٨م .

- السلوك الإنساني – سعد عبد الرحمن – مكتبة الفلاح – ط(٣)- سنة ١٩٨٣.

- شعر الغزل في العصر العباسي – حنان أحمد النجار –اتحاد الكتاب العرب – (د.ت).

- الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري – أحمد عبد الستار –المؤسسة العربية للدراسات والنشر –لبنان – بيروت –(د.ت).

- شعر النساء –دراسة في خيال الشاعرة العربية القديمة – إبراهيم عبدالرحمن الغنيم –مؤسسة الرسالة –ط(١)–سنة ٢٠٠١.

- ضحى الإسلام –أحمد أمين – دار الكتب العربية –(د.ت).

- ظواهر من التمرد في نماذج من شعر العصر العباسي الأول – صالح على سليم الشتيوي –(د.ت)–(د.ط).

- العصر العباسي الأول –أمين أبو الليل –محمد ربيع –مؤسسة الوراق – عمان – الأردن –ط(١)–سنة ٢٠٠٨.

- العصر العباسي الأول –أمين أبو الليل –محمد ربيع –مؤسسة الوراق – عمان – الأردن –ط(١)–سنة ٢٠٠٨.

- العصر العباسي الثاني – شوقي ضيف – دار المعارف – مصر – سنة ١٩٦٦.

- العصر العباسي نماذج نثرية محللة – جورج غريب = دار الثقافة – بيروت – لبنان – سنة ١٩٧٠.

- العقد الفريد – أحمد بن عبدربه الأندلسي – ت / أحمد أمين –لجنة الترجمة للتأليف والنشر –مصر – ط(١)–سنة ١٩٦٥ .

- فلسفة الفن في الفكر المعاصر – زكريا إبراهيم – مكتبة مصر – القاهرة – (د.ت).

- قراءات في الأدب العباسي – الحركة الشعرية – أحلام الزعيم – جامعة دمشق – سنة ١٩٩١م .

- المستظرف من أخبار الجواري –جلال الدين السيوطي – ت/ صلاح الدين المنجد –دار الكتاب – بيروت – ط(٢)– سنة ١٩٧٦م .

- معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام – عبده مهنا –دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – ط (١)–سنة١٩٩٠.

- المنجد في اللغة والإعلام – لويس معلوف – بيروت – ط (٣٥)–سنة ١٩٩٦م / باب مرد.

- نزهة الجلساء في أشعار النساء – جلال الدين السيوطي – ت/ صلاح الدين المنجد – دار المكشوف – بيروت – ط(١)–سنة ١٩٥٨م

- النقد الأدبي الحديث – محمد غنيمي هلال – دار الثقافة –بيروت –سنة ١٩٧٥

- نهاية الأرب في فنون الأدب –النويري –دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة – ط (١)–سنة ١٤٢٣هـ .

- نوادر الندماء وطرائف الخلفاء – جاسم يسين الدرويش –عادل إسماعيل خليل – طباعة تموز للنشر والتوزيع – دمشق – ط(١)– سنة ٢٠١٦م

- أبو نواس –عباس محمود العقاد –دار الكتاب العربي –بيروت –ط (١)–سنة ١٩٦٨م

- الورقة –ابن الجراح –ت / عبد الوهاب عزام و عبد الستار أحمد –دار المعارف – مصر –سنة ١٩٨٦م.